التفكير الناقد
وحل المشكلات

تنمية مهارة حل المشكلات لدى الطلبة

دعاء جبر دجاني

قد لا تخلو حياة أحد منّا من مشكلات تواجهه، وكل منا يدرك بأن لديه بعض العقبات، إلا أن معضلة أحدنا قد لا تكون مشكلة للآخرين. إن الجهد الذي نبذله لحل أية مشكلة نمر بها يحتاج إلى بعض المعالجة الذهنية، فحل المشكلات هو نمط فكري يعتمد على مهارات التفكير الأخرى، أي مهارات التفكير الناقد والإبداعي، فالتفكير الناقد التحليلي والتفكير الإبداعي المتشعب متقاربان جداً من التفكير الاستقصائي الذي يتم توظيفه في حل المشكلات كما في الشكل:

التفكير الناقد (تحليلي)

حل المشكلات (تطبيقي)

التفكير الإبداعي (متشعب)

إن قدرة الطفل على توظيف تفكيره لحل المشكلات التي تعترضه هو مفتاح نجاحه، وهناك الكثير من المزايا والإيجابيات لتعليم يهدف إلى تنشئة طلبة لديهم القدرة على حل المشكلات، حيث يمكن للأنشطة التي تهدف إلى حل المشكلات أن تنمي مهارات التفكير والجدل المنطقي لدى الطالب، وأن تجعل معرفة الطفل معرفة متكاملة، وعندما يتم حل المشكلة، فإن هذه الأنشطة تعزز لدى الطفل الثقة بنفسه، وتكون لديه توجهاً إيجابياً حول قدرته على مواجهة العقبات التي تواجهه. ويمكن للمعلمين والآباء أن يتعلموا الكثير من مراقبة أبنائهم وملاحظة الاستراتيجيات المختلفة التي يتبعونها لمواجهة المشكلة، ولصياغة الأسئلة حولها، ومن ثم حلها. ولعل من أفضل الطرق لفحص فهم الطفل هو إعطاؤه مشكلة تتطلب توظيف فهم الموضوع لحلها. إن حل المشكلات هو خبرة تعليمية مباشرة للطفل تتطلب منه توظيف معرفته ومهارته وتنمي تفكيره.

من المهم قبل التوصل إلى حل، العمل على تحديد المشكلة، فالمشكلة هي مهمة تتضمن عدداً من المعطيات وبعض المعلومات. ولكل مشكلة سياقها الخاص بها، وقد تكون العوامل المشكلة لهذا السياق مبهمة. وعلى الشخص الذي يواجه هذه المهمة أن يجد طريقة للتغلب على هذه العقبات. ومن الأسئلة المفيدة التي يجدر طرحها قبل حل أية مشكلة «مشكلة من هذه؟»، و«من الذي يريد أن يجد حلا؟». عندما يواجه شخص مشكلة، فهذا يعني أنه لا يستطيع أن يصل إلى هدفه، وأن هناك عائقاً ما يحول دون بلوغ غايته. وقد لا يكون من السهل ملاحظة هذا العائق الذي يمنع الوصول إلى الهدف بشكل مباشر، إلا أنه لا بد من بذل مجهود ذهني واعٍ بغرض إزاحة هذا العائق.

يمكن وصف المشكلات بأنها تتكون من ثلاثة عناصر:

المعطيات	الصعوبات	الهدف

كثيرا ما نستخدم كلمة «مشكلة» في حياتنا اليومية بشكل مرن لنعبر عن الصعوبات التي تواجهنا، وقد تتراوح هذه الصعوبات من وجع رأس بسيط إلى حالة تهدد الحياة بالخطر، ما يستوجب طرقاً وأساليب مختلفة لحل المشكلات. وقد تتحول مشكلة بسيطة إلى مشكلة جدية وصعبة والفرق هنا هو في مدى المشكلة وليس في نوعها. ومن الصعب تعريف وتحديد المشاكل التي تواجهنا في الحياة اليومية، إذ أنها مشاكل متداخلة وفيها وجهات نظر مختلفة، مثل حل نزاع بين شخصين، أو الانتقال إلى منزل جديد، أو إنشاء مشروع ... فمن الصعب وجود حل واحد فقط لمثل هذه المشكلات. إن مثل هذه المشاكل هي مشاكل قابلة للبحث وللنقاش، وعادة ما تكون هناك طرق أو توجهات عدة، ويتم اعتماد ما يلائمنا منها، وليس هناك أسلوب وحيد يضمن لنا نجاعة حل المشكلة. وفي هذه الحالة، لا نقيّم حل المشكلة بأنه كان صحيحاً أو خاطئاً، بل نحكم عليه بمدى ملاءمته لموقف معين، ومثل هذه الحلول لا تنهي المشكلة، بل إنها تقودنا من مشكلة إلى أخرى ... وبهذا المفهوم فإن الحياة التي نعيشها هي عملية حل مشكلات مستمرة، وليس هناك حدود للمشاكل التي على الإنسان أن يتعامل معها، وأن يسعى إلى حلها. إن حل نزاع بين شخصين، أو الانتقال إلى منزل جديد أو إنشاء مشروع ... هي مشاكل عملية وحلولها ليست مثالية مطلقة، وهي بالطبع تختلف عن المشاكل التي يجب أن نطلب من الصغار حلها في المدرسة.

يعرف سعادة (2003) مهارة حل المشكلات بالنسبة للطلبة بأنها البحث عن حل لقضية أو معضلة محددة أو مسألة مطروحة وتكمن أهميتها في أنها تزود الطلبة بإطار عمل منظم لتحليل تفكيرهم لمواجهة المشاكل بمسؤولية وكفاءة. ويوضح جروان (1999) المفهوم التربوي لحل المشكلات بأنه «السلوكات والعمليات الفكرية الموجهة لأداء مهمة ذات متطلبات عقلية معرفية، وقد تكون المهمة حل مسألة حسابية، أو كتابة قصيدة شعرية، أو البحث عن وظيفة، أو تصميم تجربة علمية» (ص 95). ويشير سعادة (2003) إلى أنه حتى تكون المشكلة جديرة بالحل، فلا بد من وجود اهتمام بها، ولا بد من وجود أكثر من طريقة لحل هذه المشكلة، ويتم اختيار أكثر هذه

الحلول ملاءمة وأفضلية. ويشير Fisher (2001) إلى أن المشاكل التي على الأطفال أن يتعاملوا معها في المدرسة هي مشاكل مغلقة، ذات حل واحد صحيح. وهي مشاكل مصطنعة، محددة وواضحة تماماً، بعيدة عن عالم الطفل وخبراته في الحياة اليومية، وهدفها هو الحصول على العلامات، وهي مفيدة للتذكر ولفحص ما تم تعلمه، أو لتوضيح عملية معينة، لكنها بالتأكيد لا تشجع على الاستقصاء.

فيما يلي مثال على هذه الأنشطة التي تقدم للأطفال لتشجيع تعلم القراءة:

رتب الحروف التالية لتكوين كلمة مفيدة: ا، ل، م، وقد يكون هناك أكثر من إجابة صحيحة مثلاً: مال، لام أو ألم ... ولكن يمكن تطوير مثل هذا التمرين بشكل ينمي مهارات التفكير وحل المشكلات كما في الشكل التالي:

بحيث يستخدم الطالب الحرف الأوسط (م) لتكوين أكبر عدد من الكلمات بتوظيف بقية الحروف

وتقدم Shure (1999) المثال التالي لتنمية مهارة حل المشكلات لدى الأطفال، وهي تهدف من هذا النشاط إلى تنمية قدرة الأطفال على التفكير المتسلسل حول المشاكل التي تواجههم مع اخوتهم وزملائهم. فعلى المعلمة أن تعرض الصورتين التاليتين في الصف، وأن تطلب من أحد الطلاب أن يأتي ويشير إلى الصورة التي تمثل الحدث الذي وقع في البداية، ثم الحدث الذي يليه، أي أن يضع صورة قبل الأخرى.

ويمكن أن تسأل الطفل: «ما الذي حدث في الصورة الأولى؟»، «حسنا وماذا حدث بعد ذلك؟»، ثم تضيف بعد أن تسمع تفسير الطفل لماذا وضع إحدى الصور قبل الثانية، «حسناً، لقد أخبرتنا قصة، من يمكن له أن يخبرنا قصة **مختلفة** عن الصور؟». ويمكن للمعلمة أن تحث الأطفال على رواية أكبر عدد من القصص، قد تكون بعض القصص بالتسلسل نفسه ولكن مع إضافات وتعديلات بسيطة من الأطفال ... من خلال هذا النشاط، يمكن أن يدرك الأطفال أنه ليس هناك حل واحد للمشكلة فحسب، بل يمكن أن يكون هناك العديد من الحلول المناسبة.

على الرغم من أننا نقوم بحل المشكلات بشكل مستمر، فإننا عادة ما نقوم بذلك على مستوى غير واع من التفكير. فنحن لا نتأمل بطرق تفكيرنا، وغالبا ما نفترض أن طريقتنا في حل المشكلات هي الطريقة الوحيدة لأننا لا نبحث عن بدائل مغايرة، نحن نمتلك هذه المهارات لحل المشكلات بشكل عشوائي دون أن ننتبه إلى الاستراتيجيات التي نطورها ... قد تكون بعض هذه المهارات غير فعالة، في حين أنه يمكن لنا ولأبنائنا تطوير أساليبا أكثر نجاعة وفعالية عندما نبذل جهداً مدروساً لتنمية طرق بديلة لحل هذه المشكلات. سيتناول العدد القادم من رؤى تربوية بعض المبادئ والاستراتيجيات التي تنمي مهارة حل المشكلات لدى الطلاب.

دعاء جبر دجاني – باحثة في مركز القطان

المراجع:

- جروان، فتحي (1999)، تعليم التفكير/مفاهيم وتطبيقات. دار الكتاب الجامعي/العين/الإمارات.
- سعادة، جودت (2003)، تدريس مهارات التفكير. دار الشروق للنشر والتوزيع/الأردن.
- Fisher, R. (2001) Teaching Children to Think. Nelson Thornes, United Kingdom.
- Sure, M. (1999) I Can Problem Solve. ICPS (preschool), Research Press.

شكل (1)

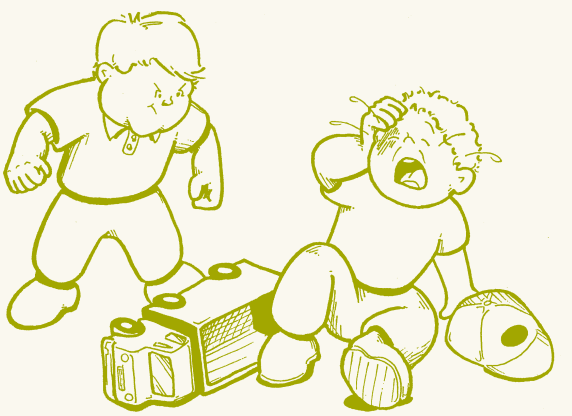

شكل (2)